

# لُغَةُ الْعَرَبِ

## مَجَلَّةٌ شَهْرِيَّةٌ أَدَبِيَّةٌ عِلْمِيَّةٌ تَارِيخِيَّةٌ

الجزء ١٠ من السنة ٢ عن جمادى الأولى سنة ١٣٣١ = نيسان ١٩١٣

### \* الكتابة في العراق \*

Aperçu historique sur l'écriture arabe, et principalement  
en Mésopotamie.

١٠٦٠ هـ

اثبت اليوم علماء البحث والتنقيب ان الكلدانيين سكان وادي الرافدين  
دجلة والفرات هم اسبق الاقوام الى وضع الكتابة على طريقة الالهجة  
او المقاطع . ثم ما عثم ان انتشر اسلوبهم بين اظهر الاشور بين لسهولته فاستطاع  
بين الاجبال المنبثة في شمالي ارمينية وشرقها . ثم بين الامم المنوطنة ديار ماذية  
وشوشن وفارس . ولم يزل سيع في انتشار ، وامداد وعبار ، حتى عصور  
النصرانية الاولى .

\* كتب الينا من النجف - حضرة الاديب « عش » معالة في « الكتابة في العراق »  
فوجدناها مؤلفة من قسمين : الاول منها يبحث عن الكتابة والخط قبل الاسلام .  
وقد اقبني فيها الكتاب آثار من كتب في هذا البحث قبل المكتشفات المصرية بخلاف كلامه  
غير واضح بالمقصود في هذا العهد ولهذا لم نكتب في هذه المجلة بجزئين بالاشارة اليه .  
والقسم الثاني يبحث عن الخط والكتابة بعد ظهور نبي الباس وهو الذي تدرجه في  
العدد القادم وفيه عدة محاسن قلما تجدها في كتاب واحد . ولهذا توجه الانتظار اليه  
قبل اتيانه . على ان تقسم هذه المقالة على هذا الوجه راجع الى حضرة الفاضل « عش »  
وقد اخذنا منه ايضاً بعض العبارات وبعض الاقوال فاقضى التنبيه اقراءاً بفضل واعطاء  
لكل ذي حق حقه .

هذا مجمل ما يقال في هذا الباب الواسع المجال ، اوسى في هذا الموضوع الخطير البال . ولهذا يتمثل لك خيال وادي السلام بصورة شيخ جليل هو ابو الكتابة والكتب والكتابة ، بيده قلم تتساقط منه رشاش مداده على الطاباق والرق والورق والطرق والجدران ماخذ ذكر اسماء مدن العراق ابد الدهر . ومن هذه الحواضر اور « التي تعرف اليوم باسم المقير وهي مهجر ابراهيم الخليل » واريديو « اي ابو شهرين ومعناها ذوالبلدين » واورك « الوركاء » ونبور « نفر » واما « جوخي » ومارو « ام المقارب » ونيسي « دريم اودليم » ولجش اي تلو « المقصورة عن تل اللوح » وسبارة اوسفارة « البوحبة » ولارسا « سنكرة » وبورسا « برس نرود او البرس » وكوشي ربا « جبل اوتل ابراهيم » ودور كوريجالزو « عقرقوف » (١) والكوفة وبنداد والانيار والحيرة وسامرا وغيرها مما يطول تعدادها .

ولجميع هذه المدن بل ولكل واحدة منها حصّة وافرة من آداب لغة العرب القديمة والحضرة والحديثة والعصرية . ولهذا لانظالي ان قلنا: العراق منبعث انوار العلم ومصدر معارف البشر وملقى الاقوام المتنورة وملتقط انباء المؤرخين والاخباريين والاثريين والباحثين والمستقرين اصحاب التحقيق والتدقيق . تشهد على ذلك اوراقهم ومهارتهم ودفاترهم واسفارهم ومؤلفاتهم صغيرة وكبيرها حتى انها اكتظت منها .

ظل العراق حافلاً بالعرب الاولين حتى جاء الاسلام فكان العراقيون احفظ الاقوام باللغة الفصحى من غيرهم بها ، وهي تلك اللغة لغة البطحاء وام القرى ، لغة قرش

(١) نقل بعض الكتاب هذه الاسماء عن الافرنج فسدحوها مسخاً قبيحاً ولاسيما نقلة ديار مصر والشام . وصحفيها ايضاً المستشرقون . ولهذا: وجب التنبيه .

القبيلة الشريفة الكريمة السحمة ذات الجود والقرى .  
العراق وان لم يكن صاحب هذه اللغة ومنشئها إلا انه ابو آدابها، فهو  
الذي افرغها في قالب لغة علمية وفتح لها موطناً بين سائر اللغات اخواتها  
وضرائرها، فكان هو اول مدرسة لها، بل مدرسة الذبوع، واصبح يضم بين  
احتائه وترايبه طوائف فنون الكتابة والكتاب وبين هؤلاء تجد النابتة  
الفد، والمترجم النقاد، والخطيب المفوه، والكتاب المجيد، ذلك الكاتب الذي  
يجمع الى كتابة الرسائل تصنيف الاسفار الفخمة واثاء صحف القضاء ،  
ودواوين الجند ، واوارجة الخراج ، وجرائد المساحين ، ودفاتر الشرطة .

الكتابة هي مبدأ تلك الحياة العقلية، وجرثومتها العلمية . ولهذا يحسن  
بنا ان نحصر الكلام في دائرتها لكي لا يتسع الخرق علينا . فنقول :

٢- تطورات الخط او ادوار الكتابة

للكتابة العربية تطورات شتى تنقلت فيها من حال الى حال، وتلك  
الاطوار لا تشمل حياتها المادية فقط، بل حياتها الادبية والعقلية واشهرها ثلاثة  
مواقف وهي: موقف في الحيرة قبل ظهور الاسلام يردح من الزمن ،  
وموقف في الكوفة، وموقف في بغداد . والثلاثة كلها جمعاء عراقية صميعة  
كما ترى .

٣- الموقف الاول وهو طور الخط الجبى او اليبارى او الجزم

اما شهادة المؤرخين على الموقف الاول فقد نطق بها كثيرون من  
مؤرخي العرب الاقدمين، إلا اننا نجتزئ بذكر شهادة اقدمهم وهو البلاذري  
فقد قال في كتابه فتوح البلدان ( ص ٤٧١ من طبعة الافرنج ) ما هذا نقله  
( حدثني عباس بن هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن ابيه عن

جده وعن الشرقي بن القطامي قال : اجتمع ثلاثة نفر من طيبي ببيعة<sup>[١]</sup> وهم : صرام بن مرة<sup>[٢]</sup> واسلم بن سدره وعاصم بن جدرة<sup>[٣]</sup> ففوضوا

(١) كانت بقة من ارباض الحيرة ، يقام فيها سوق في عهد الجاهلية . وهي موضع قريب من الحيرة كما نص عليه ياقوت في معجمه . ولم تكن مدينة كما قال حضرة الابه العلامة المحقق لويس شيخو اليسوعي في المشرق ( ١٦ : ٦٨ ) اذ قال : وبقة مدينة (٢) قرب الأنبار (٣-٠٢-كذا) ونفذ جبل الاب ديارنا العراقية لتزوجها عنه !

(٢) ويروي صرام بن مرة والاول اصبح واشهر وعليه المولود .

(٣) ويروي : عاصم بن جدرة . والاول اشهر واصح وافصح . ويروي جزيرة وهو جائز ويمتد عليه لان اللفظة من اصل اري من معناها عندهم كعنى جدرة كاستراه بعيد هذا . وذلك ان اسما هؤلاء الذين وضعوا الخط العربي هم طائفتان من حبي يعرفان ببولان وكانوا يكتبون الأنبار ( ابن النديم في الفهرست ص ٤ ) وقبل كانوا يكتبون بقة ( البلاذري ) ولكونهم كانوا نصارى كانوا يعرفون لغتين : لغة قومهم العرب ولغة اصحاب مذهبهم وهي السريانية . فوضع صرام صور الحروف والذي فصلها ووصلها اسلم واما عاصم فوضع الاجمام ( ابن النديم ) فالاسماء التي اشتهروا بها لم تكن اسماءهم على ما في ظننا بل كانت القاباً لهم . لنهيم بها خريجوعهم او لانهم يلقبهم السريانية . فلما جعل معناها العرب ظنوها اطلاقاً لهم ففرغهم بها . فان صرام بن مرة منحهوتة من « مارا ماري بر ماري » ومعناها سيد السادة ابن السيد وبعبارة عربية تقابل معنى الاربعة مقابلة صادقة : « شيخ شيوخ العلم ابن حامل لواء العلم » . وذلك انهم يسبون الشيخ في العلم : « مارا » ثم يضيفونها الي مثلها بصيغة الجمع فتصير المسافة كما في العربية « شيخ الشيوخ » ثم اذا ارادوا الاشارة الي انه ورث العلم كابراً من كابر يزيدون الي تلك الاضافة كلمة « ابن » ويلقبهم « ير » مذكرة باسم او تمت للدلالة على ما ينسب او يعزى الي المنعوت المذكور فيقولون مثلاً : « فلان ابن العلم » وصراهم العلامة او صاحب العلم كانه زيادة عليه اصبح العلم بالنسبة اليه بمنزلة الاب بالنسبة الي ولده . ولهذا كثيراً ما ترد كلمة الابن عندهم بمعنى « ذي او صاحب » الميريتين . كما ورد ذلك في العربية نفسها — قال القزويني : يكنى بابن في بعض الاشياء عن صاحب كابن عرس وابن ساء ونحوها وقد قالت العرب ايضاً في مثل معنى السريان ومباهم « هو ابن يحدتها » والجددة هي العلم . ومعنى هذا التركيب : هو عالم . لامة او الدليل الهادي اليه .

هذا هو معنى صرام بن مرة . واما معنى اسلم بن سدره ( وهي تصحيف شليما بر سدره ) فهو : « الامم المخطاط » . ومعنى عاصم بن جدرة ( وهي تصحيف

الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية ، فتعلمه منهم قوم من اهل الانبار، ثم تعلمه اهل الخيرة من اهل الانبار . — وكان بشر بن عبد الملك اخو اكيدر بن عبد الملك بن عبد الجن الكندي ثم السكوتي صاحب دومة الجندل ياتي الخيرة فيقيم بها الحين ، وكان نصرانياً ، فتعلم بشر الخط العربي من اهل الخيرة ، ثم اتى مكة في بعض شأنه فرآه سفيان بن امية بن عبد شمس ، وابو قيس بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب يكتب فسألاه ان يعلمها الخط فعلمها الهجاء . ثم ارأها الخط فكتبها . ثم ان بشرًا وسفيان وابا قيس اتوا الطائف في تجارة فصحبهم غيلان بن سلمة التقي فتعلم الخط منهم وفارقهم بشر ومضى الى ديار مضر فتعلم الخط منه عمرو بن زرارة بن عدس فسبحي عمرو الكاتب . ثم اتى بشر الشام فتعلم الخط منه ناس هناك وتعلم الخط من الثلاثة الطائيين ايضاً رجل من طابجة كلب فعلمه رجلاً من اهل وادي القرى ، فاتي الوادي يتردد فاقام بها وعلم الخط قوماً من اهلها . ( ١٠ ) اه .

وما تقدم بسطه ترى انه من الصواب سمي هذا الخط بالخط الخيري او الانباري اشارة الى معدن نقله او وضعه او تعلمه .

ويسمى ايضاً : « الجزم » الا ان العرب قالوا في سبب تسميته به قولاً جمعوا فيه الصحة الى الضعف وقد لخصه صاحب القاموس بهذه الكلم :  
« الجزم هذا الخط المؤلف من حروف المعجم لانه جزم اي قطع عن خط

عمران ير جذراً ويروي ايضاً في العربية جزرة وهي جزوا بالسريانية المرادفة لجذرا وهي لغة فيها ) فهو المسار الحاذق او الماهر . ولعله سمي كذلك لانه عمراً اكثر من صاحبيه الآخرين وهذه الالفاظ كلها القاب يتخير الى اصلهم او مذهبهم او حذقهم فيها . — وكان في اشهادنا على صدق ما ينسب اليهم من انهم هم الذين وضعوا الكتابة العربية فالتابوا بها من حروف اللغة العربية اي السريانية او الاسطرنجية الى افتناء الطريقة .

حمير" فقوله "جزم اي قطع عن خط آخر صحيح إلا انه لم يجب في تعيين اسم هذا الخط بخط حمير. فالاصح الموافق للاكتشافات العصرية ولاقوال العرب انفسهم هو ان يقال لانه جزم عن خط السريان اي الاسطرنجيلي واما الخط المسند او خط حمير فهو خط آخر لامشابهة ولا مناسبة له مع الجزم. والمسند عبارة عن حروف تكنب منفصلة بعضها عن بعض. وانما نسب الى حمير لما كان الموكرم من النفوذ العظيم في العرب اولاً انه كان خاصاً بعمير فقط ومنهم اقتبسه سائر الناس في ديار الحبش وغيرها من البلاد المجاورة لليمن.

ولم تكن قريش تعرف المسند بل كانت تكنب بالجزم قبيل الاسلام ولذلك قال رجل كندي من اهل دومة الجندل يمين على قريش :

لاتبجدوا نعاء بشر عليكم \* فقد كان يمون النقية ازهرها  
 اتاكم بخط الجزم حتى حفظتم \* من المال ماقد كان شتى مبعثرا  
 فاجريتم الاقلام عوداً وبداءة \* وضاهيتم كتاب كسرى وقيصرا  
 واغنيتم عن مسند الحمي حميراً \* وما كتبت في الصحف اقلام حميرا

وما زال ذلك الخط يعرف بالجزم قبل الاسلام حتى اخنط المسلمون كوكفة الجندل فاصبحت قاعدة تلك البلاد. فاستعمله اهلها فنزاع منقلبه الاول واشتهر بالكوفي. وهذا هو دوره الثاني .

الآن انه اشتهر في ذلك العصر خط آخر هو اصل الخط النسخي المعروف في عصرنا هذا وهو الخط الذي كان يظن انه من وضع ابن مقلة. على ان مكتشفات المستشرقين والعرب العصريين فندت هذا القول الفائل وقد

ظهر للعيان ان للخط النسخي مشابهة عظيمة للخط النبطي الذي كان معروفاً عند تجار النبط في جوار سلع والبراء ونواحيهما. وهذا الاكتشاف يحدو بنا الى ان نقول انه كان قبل ظهور الاسلام خطان عند العرب : خط له مشابهة كلية للارامي الاسطرنجي وهو المعروف بالحزم وكان يكتب به العرب المجاورون لديار العراق . وخط كان له مناسبة ينة لخط الانباط وهو الخط النسخي . وكان يكتب به العرب المجاورون لديار الشام وكان يعرف بالخط الجليل «عن القلقشندي» وقد اشار الى وجود هذا القلم الاخير ابن النديم في كتابه اذ يقول : اول من وضع الخط العربي . . . قوم من العرب العاربة نزلا في عدنان بن اذ . . . فلما استعربوا وضعوا الكتاب العربي . . .»

واما وجود مثال من الخط العربي النسخي قبل الهجرة فظاهر مما يجرز في دار الكتب الخديوية وقد كتب علي البردي اوعلى الخشب اوعلى نحوها ما لا يقي ريباً في هذه الحقيقة التي اصبحت في قيد الحقائق المسكينة التي لا تنزعزع . ونسبته الى ابن مقلة خطأ اللهم الا ان يقال لانه حسنه وصوره على ابداع صورة فيعوز ذلك من باب التوسع في وضع معاني الالفاظ لا من باب الحقائق التاريخية المقررة .

الموقف الثاني وهو طور الخط الكوفي

كانت الغاية من وضع الخط نقيده ما يراد اثباته على تراخي استار الازمان او اطلاق آخر على فكر الكاتب ان كان بعيداً عنه او قريباً منه إن زماناً وان مكاناً . فكان رسم الحروف او نقشها او حفرها ليس من الشأن في شيء . وكان كاتب النعمان بن المنذر وغيره من زعماء العرب لا يعرفون

الأخط رسائل الملوك ورقعهم المنفذة الى العمال . ولم تكن كتابتهم كتابة تدوين العلوم لانها كانت يومئذ تابعة لحالة ادب العرب وكان اغلب العرب عهدئذ لا يمتنون بشؤون العمران والتمدن الا عرب اليمن فانهم كانوا ارقى حالاً وحضارة من سواهم .

فلما دان العرب بالاسلام وانتشر في البلاد هو والقائمون به واحتاج المسلمون الى مجارة الامم الراقية المعاصرة لم رفضوا تلك السذاجة والبداءة وطرقوا بابي التدوين والتاليف ولا سيما من احتل منهم ديار الشام والعراق وما اضطروا الى وضعه كتب القضاء ودواوين الخراج لوجود الذميين في بلادهم وتقييد ما يؤخذ منهم لسكي لا يعودوا الى اخذه ثانية حفظاً لذمتهم من مال الظلم والخداع

لبثت الكتابة بعيدة عن الترجمة في بادئ الامر لان العرب لم يكونوا قد احتكوا بعد بام العالم احتكاكاً تاماً . بل كانوا في بدء الاختلاط لا يعرفون الحضارة ولا ضخامتها الزاهرة فصح لنا ان نسمي الخط الكوفي «بخط الفتوح والانتشار» لاختط الفن والعلم لان حظه من ذلك الاسم اوفى واوفر . لم تر اغلب الآثار العربية الاسلامية في شرق البلاد وغربها بالخط الكوفي كما ان اغلب المخطوطات القديمة هي بالخط النسخي الذي حسنه ابن مقلة فصار خط العلم والادب ، خط الانشاء ، والتحرير ، خط التوقيع والتعبير . وهذا هو طور الكتابة الثالث .

الموقف الثالث وهو طور الخط النسخي

قد تقدم القول على ان النسخي كان معروفاً قبل الاسلام لكنه لم يكن

شائعاً الا في شمالي جزيرة العرب من جهة ديار الشام . فلما اخذ العرب بالنسب في العمران ورأوا صعوبة الخط الكوفي ، ولا سيما عدم اتقياده لسرعة الكتابة اجابة لسرعة الخاطر ، عدل الناس عنه الى الخط النسخي وكان ذلك في اواخر خلافة بني امية واوائل خلافة بني عباس على ما نقله القلقشندي في كتابه « صبح الاعشى في كتابة الانشاء » المطبوع منه الجزء الاول في مصر القاهرة . ثم قال : « ان كثيراً من كتاب زماننا يزعمون ان الوزير ابا علي بن مقله » المنوفى سنة ٣٢٨ هـ = ٩٣٩ م هو اول من ابتدع ذلك وهو غلط . فانا نجد من الكتب بخط الاولين فيما قبل المثني ما ليس على صورة الكوفي بل يتغير عنه نحو هذه الاوضاع المستقرة قال ابو جعفر التماس في صناعة الكتاب : يقال ان جودة الخط انتهت الى رجلين من اهل الشام يقال لهما : الضحاك واسحق بن حماد وكانا يخطان (الجليل) قلناه وهذا الخط النسخي في اول عهده تقلا عن الانباط . قال صاحب اعانة المنشي : وكان الضحاك في خلافة السفاح اول خلفاء بني العباس واسحاق بن حماد في خلافة المنصور والمهدي . . . وانتهت رئاسة الخط بمصر الى طبطب المحرر جودة واحكاماً . . . وكان اهل مدينة السلام يحسدون اهل مصر على ( طبطب ) و ( ابن عبدكان ) يعني كاتب الانشاء لابن طولون . ويقولون : بمصر كاتب ومحرر ليس لامير المومنين بمدينة السلام مثلها .

قلت ( اي القلقشندي ) ثم انتهت جودة الخط وتحريره على راس الثلثائة الى الوزير ابي علي محمد بن مقله واخيه ابي عبد الله . قال صاحب

اعانة المنشئ : وولدا طريقة اختراعها؛ وكذب في زمانها جماعة فلم يقاربوها  
وتفرد ابو عبد الله ( بالنسخ ) ؛ والوزير ابو علي ( بالدرج ) . وكان الكمال  
في ذلك للوزير وهو الذي هندس الحروف واجاد تحريرها وعنه انتشر  
الخط في مشارق الارض ومغارها . . . ثم اخذ عن ابن مقلة محمد ابن  
السمياني ومحمد بن اسد وعنهما اخذ الاستاذ ابو الحسن علي بن هلال  
المعروف بابن البواب المتوفى سنة ٤١٣ هـ = ١٠٢٢ م وهو الذي اكل  
قواعد الخط وتمها واخترع غالب الاقلام التي اسماها ابن مقلة . . . ومن  
اخذ عنه محمد بن عبد الملك واخذت الشيفه المحدثه الكاتبة زينب الملقبة  
بشهادة ابنة الابري . . . وعنه اخذ امين الدين ياقوت « اه  
ثم نبغ بعده ابو الدر ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي المتوفى سنة  
٦٢٢ هـ = ١٢٢٥ م > ووليه ابو الدر ياقوت المسعبي المتوفى سنة  
٦٩٨ هـ = ١٢٩٩ م > وعند ذلك الحين اشتهرت الاقلام المختلفة ونبغ  
بكتابتها ورسمها جماعة منهم عبد الصيرفي ويحيى الصوسي في والشيخ احمد  
السهروردي وغيرهم مما يطول ذكرهم على غير طائل .

٧ : الشيخ محمد سعيد السويدي

Le Cheikh Mohammed- Saïd es-Souïdy.

الشيخ محمد سعيد بن احمد بن عبد الله السويدي ولد في سنة  
١١٨٠ هـ = ١٧٦٦ م . وكان احدمر شدي الطريقة النقشبندية . وقد برع  
في العلوم سيما في الصوف منها واخذ الطريقة فيه عن الشيخ خالد . والعلم  
عن والده وعمه الشيخ عبد الرحمن وغيرها ودرس مدة مديدة في مدرسة